ثقافة التسامح والتعايش السلمي في المجتمع العراقي
المقومات والمعوقات

أ.ظاهر محسن هاني الجبوري

جامعة بابل

taheer20052000@yahoo.com

07725527725

الملخص

إن العراق يعيش اليوم دوامة من زعزعة الثقة بين أطياف الشعب وذلك لان الحركات الإرهابية تحاول أن تزرع الفتنة بين طوائف وطبقات وفئات المجتمع العراقي وتعرقل بناء عراق جديد عراق يؤمن بالحوار والاعتراف بالآخر ، ولكن بناء العراق الجديد لا يتم إلا بعد أن يكون هناك ثقافة للتسامح والتعايش السلمي . كما أن لإشاعة مفاهيم الإنسانية دوراً مباشراً في ضرب مفاهيم الاستبداد والتفرد بالرأي في إدارة المجتمعات ولاسيما المجتمع العراقي .

ففي الوقت الذي يزول فيه الاستبداد من المجتمع ويبدأ بالانتقال نحو الديمقراطية ، سوف يحتاج إلى نخب سياسية واجتماعية ودينية وثقافية لديها نوايا طيبة تحرص على تهدئة المخاوف المتوقعة لدى الأطراف الأخرى لكي يتحولوا من مرحلة الشك والريبة إلى مرحلة الثقة والتسامح والتعايش السلمي .

وهنا يحق لنا أن نتساءل : إذا كان التنوع الاجتماعي والديني والقومي حقيقة لا مفر منها منذ القدم ، وإذا كنا جميعا راغبين بالعيش معاً في ظل دولة مدنية واحدة ، فما هي أفضل طريقة لتحقيق ذلك ؟ وكيف يمكن ضمان عدم تكرار الماسي التي عانينا منها لعقود مضت وإعادة الشعور بالطمأنينة والأمان لجميع العراقيين دون استثناء ؟ وكيف لنا أن نشرك مختلف المواطنين بغض النظر عن اختلافاتهم العرقية أو القومية أو المذهبية في إدارة شؤون بلدنا والتمتع بثرواته بشكل عادل ؟

الكلمات المفتاحية : الثقافة ، التسامح ، التعايش السلمي .

A culture of tolerance and peaceful coexistence in the Iraqi society Components and constraints

Prof. Dhahir Muhsin Hani al-Jubouri
University of Babylon
taheer20052000@yahoo.com
07725527725

Abstract

Today, Iraq is experiencing a cycle of destabilization of trust among the people, because terrorist movements are trying to sow discord among Iraqi communities, strata and categories of society and hinder the construction of a new Iraq .Iraq believes in dialogue and recognition of the other. however, the construction of a new Iraq can only take place after there is a culture of tolerance and peaceful coexistence. The dissemination of concepts of humanity also has a direct role in striking the concepts of authoritarianism and exclusivity in the management of societies, especially Iraqi society.

As autocracy disappears from society and begins to move towards democracy, it will need political, social, religious and cultural elites with good intentions who are keen to allay the fears expected of other parties in order to move from the stage of suspicion and suspicion to the stage of trust, tolerance and peaceful coexistence.

Here we have the right to wonder: if social, religious and National Diversity has been an inescapable reality since time

immemorial , and if we are all willing to live together in a single civil state, what is the best way to achieve this? How can we ensure that the diamonds we suffered decades ago are not repeated and that a sense of reassurance and security is restored to all Iraqis without exception? How can we involve different citizens, regardless of their ethnic, national or sectarian differences, in managing our country's Affairs and enjoying its wealth fairly؟

Keywords: culture, tolerance, peaceful coexistence

المقدمة

إن الاختلافات الاثنية والدينية والمذهبية تعد من أعقد المشكلات التي تواجه بعض المجتمعات وتعيق عملية الاندماج الاجتماعي والوحدة الوطنية فيها لذلك لم تتمكن هذه المجتمعات من أحراز أي تقدم في ميادين التنمية البشرية والمادية بصورة عامة نتيجة لعدم تغلبهم على مشكلة الاختلافات هذه وإيجاد حل مناسب لها ، بينما في البعض آخر لا تعد هذه الاختلافات معضلة بل أنها تستمد وجودها من الثقافة الوطنية العامة والمواطنة التي تجمع الجميع وخاصة البعد التاريخي والتعايش المشترك وكانت العلاقات الاجتماعية بينهم قائمة على الحوار المتبادل والتفاهم والاعتراف بخصوصيات كل جماعة من هذه الجماعات الاثنية والدينية والمذهبية وفسح المجال أمام الجميع لتنمية مميزاته التي تقرب أعضاءه وتميزهم عن الآخرين ضمن الدولة أو مدينة واحدة .

وهكذا فانه وبدون خلق القيم ومنظومة المثل الروحية العليا تصبح الحياة فصولاً متتالية من الكوارث والمهالك والشرور التي تلفح البشرية بنيرانها في كل مجتمع من المجتمعات وبالتالي فانه لا بديل ولا مناص من نشر وتعميم ثقافة وقيم التسامح

والتعايش بين أفراد المجتمع أينما وجدوا ومهما بلغ التنوع والاختلاف بينهم ، إذ إن التنوع من سنن الله تعالى في خلقه [١] .

إشكالية البحث

إن التسامح كظاهرة عامة تنتعش في ظل تحقيق العدالة الاجتماعية وحضور قوانين ضابطة لكبح جماح المعنفين في المجتمع .

لذا فان صفة التسامح مشهود لها في الشخصية العراقية كسمة عامة حتى في ظروفها غير الاعتيادية مقارنة بظروف مجتمعات وشعوب كان يعتقد إنها مسالمة إلا إن منظوماتها الأمنية والاجتماعية اهتزت بأحداث عنف كبيرة في ظروف لا ترقى إلى ما حصل ويحصل في العراق كأحداث البوسنة والهرسك وكوسوفو واندونيسيا ورواندا ..... وغيرها .

إن المرحلة الانتقالية التي يمر بها المجتمع العراقي تتطلب انتظام الشخصيات المرتكزة على ثقافات فرعية وعدم انفراطها ، وتوحيدها على وفق هدف استراتيجي يرمي إلى أن من مصلحة الجميع أن يكونوا عراقيين وان تنوعاتهم الشخصية أساس التكامل الاجتماعي والاقتصادي في تحقيق مختلف احتياجاتهم الحياتية والبايلوجية .

ومن هنا فان سقوط النظام السياسي في ٢٠٠٣ وما تبع ذلك من زوال لنمط الدولة القومية وانهيار مؤسسات الدولة وما صاحبها من تغيرات عميقة في بنية المجتمع العراقي أدت إلى ضعف إدارة مؤسسات الدولة وانتشار الفساد الإداري والسياسي والاقتصادي إضافة إلى انكفاء الجماعات والالتفاف حول قواعد مرجعية ضيقة طلباً للنصرة والحماية ، مما عمق الانتماء إلى الثقافة الفرعية على حساب تسطيح الثقافة العراقية الأم .

---

١ . راشد الغنوشي . حقوق المواطنة (حقوق غير المسلم في المجتمع الإسلامي) ، سلسلة قضايا الفكر الإسلامي (٩) ، المعهد العالمي للفكر الإسلامي ، فرجينيا ، الولايات المتحدة الأمريكية ، ١٩٩٣ ، ص ٢٢.

ومن هذا المنطلق فان السلطة السياسية إذا لم تستطع إنتاج معرفة موحدة مقبولة على الأقل من قبل معظم أفراد المجتمع ، فان الأفراد لن يبقى أمامهم غير العودة إلى جماعاتهم المرجعية سواء أكانت دينية أو عرقية أو عشائرية ...

محاور البحث

ومن اجل الإجابة حول التساؤلات التي طرحت سابقاً ، فقد تم تقسيم البحث إلى المحاور التالية :

أولاً : مفهوم التسامح

ثانياً : مفهوم التعايش

ثالثاً : ثمرات التسامح والتعايش السلمي

رابعاً: مقومات التسامح والتعايش السلمي

خامساً: معوقات التسامح والتعايش السلمي

أولاً : مفهوم التسامح :

إن أصل كلمة التسامح يعود إلى الفعل سمِح ، والسماحة تعني الجود ، وسمحَ به يسمح وسماحاً وسماحة أي جاد وسمح له أعطاه ، والمسامحة : المساهلة وتسامحوا معناها تساهلوا [١] .

وتحمل دلالة مفهوم التسامح في اللغة العربية في مضمونها المنة والكرم ، وتشير إلى وجود فارق أخلاقي بين طرفي التسامح ، فليس هناك مساواة بين المتسامِح والمتسامَح معه بل إن هناك يد عليا واهية ، ويد سفلى متلقية ، والتسامح مقتضى المن والكرم دائماً [٢] .

---

١ . محمد بن أبي بكر ابن عبد القادر الرازي . مختار الصحاح ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، د.ت. ، ص ٣١٢ .

٢ . ماجد الغرباوي . التسامح ومنابع اللاتسامح مقاربة تمهيدية ، مجلة قضايا إسلامية معاصرة ، العدد ٢٨-٢٩ ، بعداد ، ٢٠٠٤ ، ص ١٤٥ .

والتسامح في قاموس العلوم الاجتماعية يعني قبول أراء الآخرين وسلوكهم على مبدأ الاختلاف ، وهو يتعارض مع مفهوم التسلط والقهر والعنف ، ويعد هذا المفهوم من احد أهم سمات المجتمع الديمقراطي ، والتسامح فن عيش مشترك مع التطلع دوماً إلى الحفاظ على مسافات صحيحة بين ضرورات الحياة العامة وضرورات الحياة الخاصة ، فمهمة التسامح هي تأمين التعايش في إطار التباين [١].

وثقافة التسامح تعني رضا المرء برأيه واعتقاد الصحة فيه ، واحترام لرأي الغير كائناً من كان ، رجوعاً إلى معاملة الناس بما يريد الناس أن يعاملوه به ، فهو على يقينه لما يراه ، لا يقطع بلزوم الخطأ في رأي سواه ، وعلى رغبته في تطرق رأيه للأذهان ، لا يمنع الناس من إظهار ما يعتقدون [٢] .

فمن مقتضيات التسامح أن يتنازل الإنسان المتحضر المتسامح عن جزء من حريته للآخرين ، إيماناً منه بضرورة ذلك التنازل لتحقيق التكيف والوئام والانسجام بين البشر ، وتتبع القدرة العالية في العلاقات الاجتماعية من فاعلية التواصل مع الآخرين ، واتخاذ قيم التسامح كمنطلقات وركائز لهذا التواصل ، وكلما تطورت قدرة الفرد اجتماعيا على التواصل والتوافق كلما تمتع بصحة اجتماعية – نفسية عالية وقوة ضبط اكبر لسلوكه ، فيمارس حياته في مساره الإنساني وفي التعامل مع الناس ومشكلات الحياة بهدوء واتزان وسلام ، مما يجعل من سلوكه المتسامح مكافآت اجتماعية – نفسية مستمرة ومتنامية [٣] .

---

١ . علي اسعد وطفة . المضامين الإنسانية في مفهوم التسامح ، جريدة الأسبوع الأدبي ، العدد ٩١٣ ، دمشق ، ٢٠٠٤ ، ص ١٨ .

٢ . أديب إسحاق ، وآخرون . أضواء على التعصب ، دار أمواج ، بيروت ، ١٩٩٣ ، ص ٢٠٣ .

٣ . اسعد الإمارة . اللاعنف والتسامح قمة التوازن النفسي ، مجلة النبأ ، السنة ١١ ، العدد ٧٥ ، ٢٠٠٥ ، ص ١٦١ .

فالتسامح لا يعني التنازل عن المعتقد أو الخضوع لمبدأ المساومة بأي حال من الأحوال ، وإنما القبول بالأخر والتعامل معه على أساس العدالة والمساواة بصرف النظر عن أفكاره وقناعاته [١].

ويؤكد الكثير من الفلاسفة والمفكرين على إن مفهوم التسامح يمثل جوهر حقوق الإنسان ومنطلقاته ، فإذا كان التعصب والعنف يشكلان مظهر الحياة الاجتماعية ، كما إن التسامح هو المشهد الإنساني الذي تغيب فيه كافة مظاهر العنف ؛ إذ تعلو قيم المحبة والسلام [٢] .

وقد حدد الإسلام مبادئ التسامح كان منها :

١- إن التسامح يقوم على الاعتراف بحرية وكرامة كل إنسان ، فنحن مطالبون أخلاقياً ودينياً أن نكون متسامحين مع كل البشر ، بغض النظر عن انتماءاتهم العرقية والثقافية والدينية والإيديولوجية .

٢- التسامح شرط من شروط السلام الضروري للمجتمع الإنساني .

٣- الاختلاف بين الناس وأجناسهم ولغاتهم وعقائدهم لا ينبغي ان يكون منطلقاً أو مبرراً للشقاق والنزاع بين الأمم والشعوب ، بل أن يكون الاختلاف والتنوع دافعاً للتعارف والتالف .

٤- الحوار ضروري من ضرورات العصر ، وعلى جميع المستويات ؛ وأساس الحوار هو الاحترام المتبادل واحترام حرية الآخرين والتزام الموضوعية في الحوار .

٥- العدوان على الحقوق الإنسانية لجميع البشر يعد عدواناً على تعاليم الدين .

٦- التسامح عنوان الدين الإسلامي ، وسيظل كذلك إلى أخر الزمان [٣] .

---

١ . محمد محفوظ . في معنى التسامح وأفاق السلم الأهلي ، مركز دراسات فلسفة الدين ، بغداد ، ٢٠٠٥ ، ص ١٨٦ .

٢ . على اسعد وطفة ، وصالح احمد الراشد . التربية وحقوق الإنسان في الوطن العربي ، مكتبة الفلاح للنشر والتوزيع ، الكويت ، ٢٠٠٥ ، ص ٢٢ .

٣ . محمود حمدي زقزوق . التسامح في الإسلام ، مجلة التسامح ، العدد ١ ، عُمان ، ٢٠٠٣ ، ص ص ٣-١٢ .

ثانياً : مفهوم التعايش:

التعايش في اللغة مشتق من العيش، والعيش الحياة[1].

والتعايش في الاصطلاح يقصد به العيش المتبادل مع الآخرين القائم على المسالمة والمهادنة [2].

فالتعايش هو التشارك في العيش على نحو تخلوا معه العلاقات الاجتماعية المتبادلة بين الجماعات المتعايشة من أي التزامات اخلاقية او سياسية او حقوقية ، سوى القبول المتبادل بحق العيش والذي تحدده كل حالة على حدة .

ثالثاً : ثمرات التعايش :

للتعايش بين أفراد المجتمع مقومات عدة . سياسية ، واجتماعية، واقتصادية، وثقافية . ومن اجل تحقيقه فلا بد من وجود مقومات عديدة من أبرزها ما يأتي:

١. التحلي بفهم المجتمع، ومعرفة ما فيه من اختلافات ثقافية، واجتماعية بين أفراد المجتمع.
٢. يتحقق التعايش عندما يشعر الجميع بأنهم أبناء وطن واحد، وأن عليهم أن يعملوا على رفعته، وتطويره، وتنميته تنمية شاملة للجوانب الروحية والمادية.
٣. الاعتراف بالآخر، ولاسيما اعتراف الطرف الآخر غير المسلمين بالمسلمين، مع استصحاب المسلمين للفوارق الجوهرية، والموضوعية بين دين الإسلام المحكم، المحفوظ، وغيره من الأديان البشرية والمحرفة والمبدلة.
٤. أنه سبب لتحقيق المصالح المشتركة لجميع أفراد المجتمع، على اختلاف أديانهم وأعراقهم.
٥. كما يعد سبب لتحقيق الأمن والاستقرار في المجتمع.
٦. وانه سبباً لتنمية المجتمعات وتطويرها سياسيا واجتماعيا واقتصاديا.

---

٣ . أبي طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادي . القاموس المحيط ، ط ١ ، دار إحياء التراث العربي ،بيروت، ١٩٩١، ص ٤٠٢.

٤ . عباس الجراري . مفهوم التعايش في الإسلام ، مجلة الجراري ، العدد١٤ ١٩٩٧، المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة . ايسيسكو، ١٩٩٧ ، ص ٧٢ .

٧. إضافة إلى انه ضروري لنشر الفكر الإسلامي المعتدل والمتسامح بين أفراد المجتمع، بسبب اختلاط غير المسلمين بالمسلمين، وتفهمهم لطبيعة الإسلام السمحة، ومعرفتهم بمبادئه العظيمة التي تظهر بوضوح في حرص المسلم على حسن التعامل، واحترام الجيران، ومساعدة الآخرين، والتسامح مع جميع أفراد المجتمع.

رابعاً : مقومات التسامح والتعايش السلمي

١- التنشئة الأسرية

تعد مرحلة الطفولة من أهم المراحل لغرس المفاهيم والمعارف والقيم الاجتماعية ، وخاصة المتعلقة بالوطن من وطنية ومواطنة ، وذلك ترسيخها في مرحلة الطفولة ، وتنشئة الطفل عليها يجعلها عنصراً مكوناً في بناء شخصيته .

ونظرا لما للأسرة من أهمية بالغة في تكوين القيم لدى أفرادها فإنها تعد المرجعية الأولى لهم وارتباطهم بها يكون مدى العمر وبالتالي يكون تأثيرها قوياً جداً على أفرادها في تشكيل القيم لديهم وان من أهم مسؤوليات الأسرة إعداد الفرد ولاسيما الناشئة نفسياً وجسمياً وعاطفياً واجتماعياً وذلك بواسطة تغذيته بالأسس السليمة للمهارة والعمل في المجتمع وتزويده بالمهارات والمواقف الأساسية التي يحتاجها للتفاعل مع متطلبات ومحددات الثقافة المجتمعية ، وبذلك يستطيع الفرد أن يتعايش في مجتمعه . ومن هنا يبدأ في الانتماء إلى بيئته الأوسع والى مجتمعه ووطنه من خلال الترابط بين ما اكتسبه في بيئته الأولى وهي الأسرة وبين المكنونات المجتمعية لهويته الدينية والثقافية والاجتماعية والمرتبطة بوطنه ومن ثم يبدأ في التكيف السلس والسهل مع مسؤولياته الوطنية [١] .

والطفل منذ مراحل نموه الأولى في الأسرة يجب أن يتعلم كيف يعيش في مجتمع ، وانه عنصر فيه ، ويجب أن يكون صالحاً وقادراً على تحمل المسؤولية والمشاركة

---

١ . عبد الرحمن بن علي الغامدي . قيم المواطنة لدى طلاب الثانوية وعلاقتها بالأمن الفكري ، ط ١ ، جامعة نايف العربية للعلوم الأمنية ، الرياض ، ٢٠١٠ ، ص ٩٧ .

في نموه وتقدمه ورقيه بالجد والعمل ، ويجب أن ينشأ منذ مراحل عمره على الولاء والانتماء وحب الوطن [1].

وعلى الرغم من ان هناك العديد من المؤسسات التي تعمل في غرس ثقافة التسامح والتعايش وتنميتها عند الفرد كالاسرة ، والمدرسة ، والجامعة . الا ان الاسرة تتميز بأنها أهم المؤسسات التي تسهم في إعداد الأبناء ، وتربيتهم على قيم التسامح والتعايش الاجتماعي من خلال ما يلي :

- غرس حب الوطن في نفوس الأبناء ليزدادوا اعتزازاً به مع العمل من اجل تقدمه وإعلاء شأنه .
- تعزيز ثقافة الحوار والمشاركة والتسامح مع الاختلاف .
- تقدير المصلحة العامة ويقدمها على مصلحته الخاصة ، وان يضحي من اجل الصالح العام .
- ضرورة التحلي بالخلق الرفيع ويتأدب بأدب الحوار ، وان يحترم أراء الآخرين .
- تعزيز روح تحمل المسؤولية وممارسة الأساليب العقلانية في الحوار .
- غرس أهمية النقد والنقد الذاتي ، وحب المشاركة في اتخاذ القرار .
- التحدث دائما عن القيم الاجتماعية الايجابية في المجتمع العراقي والعشائر وابرز انجازاتها على الصعيد الوطني والاجتماعي .

٢- التعليم :

فالتعليم يهدف إلى تعزيز ثقافة التسامح والتعايش السلمي لدى الطلاب من خلال مجموعة من الأهداف العامة التي يسعى إلى تحقيقها ومنها :

١- حفظ وتحسين وتطوير القيم والتقاليد والمعتقدات وتعديل واستبدال الغير مرغوب منها .

٢- تعويد الطالب على أسلوب الحوار وتقدير قيمة الرأي المخالف .

---

١. محمد الحامد ، ونايف الرومي . الأسرة والضبط الاجتماعي ، بدون دار نشر ، الرياض ، ٢٠٠٢ ، ص ٨٩ .

٣- تعميق حب الوطن ، وتعزيز الانتماء له ، وترسيخ مفهوم الحرية كحق ، والمشاركة الجماعية كضرورة اجتماعية ، وتشجيع العمل التطوعي ، وتعزيز قيمة التعاون .

٤- تطوير شخصية الطالب وصقلها وتنميتها من خلال تزويده بكل ما ينمي معارفه ويوسع مداركه [١] .

٥- توفير شروط ومقومات الحرية العقلية في التعليم الجامعي وتربية الأجيال الشابة على التسامح الفكري والانفتاح العقلي والوسطية والاعتدال وحرية التعبير والاختلاف .

٦- العمل في ظل مناخ إداري مفتوح يسمح بتوسيع دائرة المشاركة في اتخاذ القرار ويعطي الطلبة مساحة معقول في إدارة شؤونهم لكي يدركوا قيمة الحرية والثقة والتسامح من خلال مواقف حية يمارسون فيها ألوان الود والتعاطف والتسامح والاحترام .

٧- الارتقاء بالثقافة السائدة في البيئة الجامعية بحيث تقوم على أساس المساواة والحرية واحترام الإنسان لذاته وإنسانيته بعيداً عن التعصب للرأي أو التطرف في الاتجاه أو الاعتقاد [٢] .

٣- الإعلام

تتميز وسائل الإعلام بمقدرتها على توصيل الرسائل إلى جمهور عريض متباين الاتجاهات والمستويات ولأفراد غير معروفين للقائم بالاتصال، مع مقدرتها على خلق رأي عام وتنمية اتجاهات وأنماط من السلوك غير موجودة أصلاً ، والمقدرة على نقل

---

١ . هدى درباشي . دور الجامعات الفلسطينية بغزة في تنمية النسق القيمي لدى الطلبة ، أطروحة دكتوراه منشورة ، كلية التربية ، وكلية التربية بجامعة الأقصى ، وجامعة عين شمس ، ٢٠٠٤ ، ص ١٤٤ .

٢ . السيد سلامة الخميسي . تربية التسامح الفكري : صيغة تربوية مقترحة لمواجهة التطرف ، مجلة رابطة التربية الحديثة ، السنة ١٠ ، العدد ٢٦ ، الإسكندرية ، ١٩٩٣ ، ص ص ٨٣-١٠٤ .

المعارف والمعلومات والترفيه ، إذ نجد أن وسائل الإعلام أكثر تقديماً وأكثر تعبيراً عن مصالح الناس وآرائهم ، مما يوفر لهذه الوسائل شعبية ، تعمل على نشر ثقافة التسامح والتعايش في المجتمعات [١].

ويتعاظم هذا الدور ويقوى بقدرتها في تعميم وتعميق إدراكنا بأهميتها ومواكبتها في سير حياة المجتمعات وتطورها ، الذي أصبح فيه الإعلام ضرورة حيوية وسلاح حضاري حاسم في التنافس أو التدافع الثقافي ، فالإعلام في أصله يبقى وسيلة حيادية تستعمل للبناء أو الهدم على السواء [٢] .

٤- الخطاب الديني

إن الدين يمثل مرحلة بحث متواصلة من اجل تحقيق المعاني الإنسانية الجليلة والقيم الجوهرية للحياة البشرية ، فضلاً عن انه يمثل الإيمان الفاعل لإيجاد السعادة الحقيقة في خضم المواجهة مع الأمور القاسية في الحياة .

فالخطاب الديني إذن هو رسالة موجهة ذات مضمون ديني بكل ما يحمله هذا المعنى من أبعاد ومفاهيم ورموز بهدف الوصول إلى المتلقي اعتماداً على قدرات المرسل الاقناعية التي تتخذ من الأدلة والحجج والإغراءات أو الترهيبات ما يوفر جسوراً للوصول إلى الأخر ، وهو من أكثر الخطابات شمولية وتعقيداً لأنه خطاب (سلطوي أمري تسليمي إذعاني يطالب بالإيمان والغيب والعقائد ويعتمد على التصوير الذهني وإثارة الخيال والحياة المستقبلية وما بها من وعود وخلاص من الآلام [٣] .

وبالتالي تتحدد قيمة الفرد في نظر في نظر الآخرين وفي نظر نفسه في ضوء القيم التي يحملها والتي ينظر إليها المجتمع نظرة تقدير فكلما كان الشخص أكثر تماسكاً بالقيم السائدة في مجتمعه التي يغرسها في نفسه كان أكثر قبولاً في المجتمع وقد يجابه الفرد بالنبذ الاجتماعي بأنه خالف النسق القيمي الموجود فيه عندما يفقد

---

١ . خليل أبو أصبح . الاتصال الجماهيري ، دار الشروق ، عمان ، ١٩٩٩ ، ص١٥.

٢ . فضيل دليو . الاتصال، مفاهيمه- نظرياته- وسائله ، دار الفجر للنشر والتوزيع ، القاهرة ، ٢٠٠٣ ، ص ٩ .

٣ . حسن حنفي . تحليل الخطاب العربي ، منشورات جامعة فيلادلفيا ، الاردن ، ١٩٨٨ ، ص ٢٢ .

الفرد ثقته بنفسه لأنه انفصل عن الكيان الاجتماعي والقيمي ، إذ إن ضعف هذه الرابطة يؤدي إلى فقدان الطمأنينة وصعوبة مواجهة الحياة [١]. كما التمسك بالقيم الدينية يعمق بالفرد سمات شخصية ايجابية منها التحمل وضبط النفس والتسامح والتعايش السلمي وتدعيم مشاعر الأمن والتفاؤل [٢] .

خامساً : معوقات التسامح والتعايش السلمي

١- التعصب

يعرف التعصب بأنه تشكيل رأي ما دون اخذ وقت كاف أو عناية للحكم عليه بإنصاف ، وقد يكون هذا الرأي ايجابياً أو سلبياً ، ويتم اعتناقه دون اعتبار للدلائل المتاحة . ويعني التعصب أيضاً : الرأي السلبي تجاه أفراد ينتمون إلى مجموعة اجتماعية معينة ، إذ ينحو الأفراد المتعصبون إلى تحريف وتشويه وإساءة وتفسير ، بل وتجاهل الوقائع التي تتعارض مع أرائهم المحددة سلفا . فقد يعتقد الشخص المتعصب مثلاً بان جميع الأفراد المنتمين إلى سن معينة ، أو أصل قومي أو عرق أو دين أو جنس أو منطقة في بلد ما كسالى ، أو عنيفون ، أو أغبياء ، أو جشعون ..... [٣] .

فالتعصب حالة خاصة من التصلب الفكري أو الجمود العقائدي ، إذ يجسد اتجاهات الفرد أو الجماعة نحو جماعات أو طوائف أخرى . ويكشف المتعصب عن خضوع كبير لسلطة الجماعة التي ينتمي إليها ، مع نبذ للجماعات الأخرى . ويرتبط بذلك ميل إلى رؤية العالم في إطار جامد من الأبيض إلى الأسود ، مع ميل إلى استخدام العنف في التعامل مع الآخرين [٤] .

---

١ . حسين اسعد . الأخلاق ودورها في الحياة ، دار الأنوار ، بغداد ، ١٩٧٨ ، ص ١٠٩ .

٢ . لطفي بركات احمد. القيم والتربية ، دار المريخ ، الرياض ، ١٩٨٣ ، ص ٤ .

٣ . الموسوعة العربية العالمية ، ط ١ ، مؤسسة أعمال الموسوعة للنشر والتوزيع ، السعودية ، ١٩٩٦، ص ١٢ .

٤ . احمد زكي بدوي . معجم مصطلحات العلوم الاجتماعية ، مكتبة لبنان ، بيروت ، ١٩٧٨ ، ص ١٥٤ .

إن مشكلات التعصب بإشكاله المختلفة مازالت تشهد نمواً كبيراً وتعاظماً مستمراً في المستوى الإنساني ، فهناك ملايين الأفراد الذين يجدون مصرعهم تحت الغازات والإبادة الجماعية والحروب والطائفية والمجازر السياسية . ويمكن لنا إن نشير إلى وضعية الحروب الأهلية والطائفية والعرقية والحزبية في كثير من بلدان العالم مثل : كوسوفو والشيشان والسودان والصومال ولبنان والعراق ، فالحروب التي تأخذ من حيث من حيث المظهر أشكالاً دينية وعرقية تنتشر في بقاع واسعة من العالم ، وتشكل تهديداً متواصلا للحياة البشرية . فالسلطة في مجتمعنا لم توفق في خلق الاندماج الاجتماعي بين فئات المجتمع ، بل كانت تساعد أحياناً في خلق العزلة والتعصب والتباعد بين الجماعات . والمأزق يتجسد في عدم قدرة السلطة في خلق نموذج وطني يوحد بين الجماعات الفرعية التي أصبحت تحقق أمناً للفرد الذي ينتمي إليها في ظل غياب امن المجتمع والدولة [١] .

٢- الصراع السياسي

إن الساحة العراقية تشهد على امتداد الأعوام الماضية صراعات مختلفة ذات غايات وأهداف عديدة ، بين أطراف عديدة منها أحزاباً سياسية ومليشيات تلك الصراعات متورطة بتهشيم الروابط الاجتماعية والوطنية لمكونات المجتمع العراقي .

فقد ظهرت القوى السياسية الفاعلة فجأة ، وهنا أضحى المجتمع العراقي أمام وضع حديث لم يألفه في السابق ، وذلك ببروز انفلات سياسي وفكري ، إذ أصبحت الساحة السياسية في العراق مسرحاً لتأسيس وإعداد أحزاب سياسية وتكتلات حزبية بأعداد كبيرة لا تتواءم مع الوضع العراقي الجديد ، الأمر الذي افرز حالة من الفوضى وعدم الاستقرار السياسي ، لذلك ارتفع عدد الأحزاب السياسية في العراق ، والأمر السيئ هو إن كل حزب أو تيار يدعي أحقيته في الحكم واختيار القواعد المنظمة للعمل السياسي وتمثيل العراق . وبدلا من توحيد الصف العراقي أخذت الأحزاب السياسية تتصارع فيما بينها حول التمثيل السياسي [٢] .

---

١ . علي سعد الدين إبراهيم . التعصب والتحدي الجديد للتربية في الوطن العربي ، الكتاب السنوي السادس ، الجمعية الكويتية لتقدم الطفولة العربية ، ١٩٨٩، ص ٥٤ .

٢. ناظم نواف الشمري . ظاهرة عدم الاستقرار السياسي في العراق وتداعياته العربية والإقليمية ، مجلة السياسية والدولية ، العدد ١٨ ، بغداد ، ٢٠١١ ، ص ٣١٧.

إذ إن متابعة التطورات السياسية في العراق منذ عام ٢٠٠٣ كشفت عن تكون نوع ما من التقاليد السياسية حول كيفية إدارة الصراعات بين القوى السياسية العراقية على اختلاف توجهاتها وانتماءاتها . إذ إن حالة الفوضى التي صاحبت حل الجيش العراقي وهدم مؤسسات الدولة ، القوى العراقية إلى تطوير ميليشيات مسلحة خاصة بها ، من اجل ضمان تحقيق مكاسب سياسية معينة عن طريق حماية مناطق نفوذها التقليدية أو توسيع تلك المناطق ، فكانت العلاقة الصراعية والاحتكام إلى السلاح لتسوية الخلافات السياسية هما السمة الغالبة على علاقات هذه القوى [١] .

فالولايات المتحدة تركت العراق بنظام سياسي لا تحكمه قواعد مقبولة من القوى السياسية ، كما لا تتوافر لدى تلك القوى القدرة على بناء التوافق الذي يسمح بتوليد قواعد جديدة تعمل على تقدم العملية السياسية في العراق . وهذا من شأنه إن يسهل عملية الانقلاب على تلك القواعد ، فضلاً عن استمرار وضع الأزمة ، بكل ماله من تداعيات أمنية . فمن ناحية ، لا يوجد احترام لقواعد اللعبة السياسية على النحو الذي اقره الدستور والقانون ، إذ لم يعد تقاسم المناصب السياسية مرتبطاً بنتيجة الانتخابات بقدر ارتباطه بضرورة وجود " ممثل " عن الطائفة أو الجماعة العرقية . وقد جاء في مذكرات بريمر (سنتي في العراق) إن " الانقسامات العرقية التي سيطرت على الساسة العراقيين ، كانت اقل وضوحاً بين العراقيين العاديين " ، وهذا يعني إن مشروع " المحاصصة " الطائفية هو مشروع نخبوي تفرضه النخب السياسية التي نشطت في العراق منذ سقوط نظام صدام حسين [٢] .

٣- الطائفية

تحولت عبارة " طائفية " في الاستعمال المتداول علميا وشعبياً منذ العشرينيات إلى سلة مهملات يرمي فيها المجتمع كل ما لا يرضيه . تتضمن هذه السلة مضامين مبعثرة ومتناقضة ومن دون تصنيف وتنسيق ، وتتحول بالتالي العبارة إلى

---

١. إيمان رجب . العراق بعد عام ٢٠١١ : التحديات في فترة ما بعد الانسحاب الأمريكي ، مجلة المستقبل العربي ، العدد ٣٩٦ ، مركز دراسات الوحدة العربية ، بيروت ، ٢٠١٢ ، ص ٦٦ .

٢. إيمان رجب . المصدر السابق ، ص ٦٨ .

مكب إيديولوجيات وسجالات ونزاعات . ليست تالياً عبارة " طائفية " مفهوماً " Notion " بالمعنى العلمي ، أي فكرة ومعرفة بديهية

وتظهر الطائفية وكأنها معطى يخترق الزمان والمكان ، وتتخذ غالبا شكلا عاماً ، في عدة مجتمعات أو بلدان أو دول ، لكنها في الواقع رغم عموميتها ظاهرة مخصوصة ببيئتها ، فليس هناك طائفة واحدة ، بل طائفيات تنبع من واقع مجتمعي محدد [١].

أن التفكير الطائفي لا يقوم أبداً على تنمية الصلات الاجتماعية العقلانية وهو ملازم لبنية الدولة العراقية المتجلية في ممارسات أنظمة الحكم المتعاقبة منذ تأسيسها . وبسبب هذا الوضع لم تتشكل الدولة / الأمة ، فبالرغم من الشعارات الايديلوجية العصرية ظل العامل العصبوي الطوائفي هو القاع السوسيولوجي الذي تقوم عليه السلطة وكيان الدولة التي أقامتها . ان السلطات الحاكمة التي رفعت الشعارات القومية كواجهة لطالما كانت تخفي وراءها ممارسات تتسم بالطوائفية ، والحال نفسه يحصل حاليا إذ ترفع شعارات الديمقراطية ، ولكنها تخفي وراءها أسوأ أنواع التمييز الطائفي ونزعات [٢] .

٤- أزمة الهوية العراقية

الهُوية: هي الذّات [٣]، وهي حقيقة الشيء، أو الشخص التي تُمَيزه عن غيره [٤]، والهوية مصطلح تم تعميمه واستخدامه على نطاق واسع من قبل ايريك اركنيسون في أواخر الخمسينيات فارتبطت الهوية بإحساس الفرد بنفسه ، ولكنها فيما بعد أخذت

---

١. ظاهر محسن هاني ، واحمد جاسم مطرود .الهوية العراقية بين المواجهة والخضوع ، بحث منشور في مؤتمر العقلية العراقية بين اكراهات الماضي وتحديات المستقبل ، مجلة جامعة القادسية ، المجلد ١٦ ، العدد ٢ ، جامعة القادسية ، ٢٠١٣ .

٢ . برهان غليون . الطائفية في الدولة والمجتمع .
http://www.aljazera.net/NR/exeres

٣. مصطفى حجازي وآخرون. "المعجم الوجيز"، مجمع اللغة العربية، القاهرة، ٢٠٠٠ م، ص٦٥٤.

٤. إبراهيم مدكور وآخرون. "المعجم الوسيط"، جـ٢، ط٣، مجمع اللغة العربية، القاهرة، ١٩٧٢ م، ص ١٠٣٩.

منحى كبيرا في تنوع معانيها واستخداماتها المركبة ، وظهرت بأشكال مختلفة فقد شملت مسألة الهوية العديد من الأشكال ، كالهوية الشخصية ، والهوية الاجتماعية ، والهوية القومية ، والهوية الدينية ... وما إلى ذلك من أشكال [١] .

وتفيد الأحداث إن الأقوام المتعددة والأديان والمذاهب في العراق تعايش أهلها بسلام حيثما كانت السلطة بعيدة كل البعد عن التدخل في شؤون خصوصياتهم ، وان الصراعات تنشأ فيما بينهم حد إبادة الأخر حين تكون السلطة او قوة غازية محرضا بشكل علني أو خفي . ولان الإنسان به حاجة نفسية إلى هوية فانه يضطر الى الدفاع عن هويته حين تتعرض إلى الخطر . ولان كل هويات الجماعات العراقية لحقها أذى وتعرضت الى هذا القدر او ذاك من الخطر ، فانه ينجم عن ذلك تغليب الانتماء إلى الهوية الخصوصية بدافع الحماية والأمن على الانتماء إلى الهوية الوطنية مصحوبة بحالات من التطرف أو التعصب العرقي أو الديني أو المذهبي[٢] .

ما الحل

حقيقة ان وعي المجتمع بضرورة التعايش السلمي هو انجاز صعب تحقيقه في ظل اجواء التوتر والاحتقان المجتمعي ، إذ أن تطور المجتمع وازدهاره يعتمد كلياً على ذاك الوعي ، فمبدأ الوحدة في التنوع يعد بعداً هاماً من ثقافة التسامح والتعايش بين أفراد المجتمع ، وهذا المبدأ يركز على جملة من المتطلبات التي من الضروري توافرها كي ينعم ابناء المجتمع الواحد بالراحة والاطمئنان ويسوده التماسك والتكاتف والتعاون . ومن هذه المتطلبات نذكر منها :

- نهوض الثقافة المدنية القائمة على فلسفة تأصيل التعددية وبناء مفهوم جديد للمواطنة يقوم على إحترام الحريات والحقوق الممنوحة للفرد والتداول السلمي

---

١ . إبراهيم راشد الحوسني . اثر التحديث الغربي في الهوية في مجتمع إسلامي ، ط ١ ، دائرة الثقافة والإعلام ، الشارقة ، ٢٠٠١ ، ص ٣١ .

٢. قاسم حسين صالح . اللاوعي الجمعي في العقلية العراقية وإشكاليات التغيير (اللاوعي الجمعي أفيون العقلية العربية .. مخدر وخالق اوهام) ، بحث منشور في مجلة جامعة القادسية (العراق) ضمن وقائع مؤتمر كلية الآداب ، المجلد ١٦ ، العدد ٢ ، ٢٠١٣ ، ص ١٨ .

للسلطة ورفض أشكال الاستبداد والدكتاتورية كافة في مختلف مناحي الحياة وهذا يتطلب سعياً حثيثاً نحو تغيير كل مؤسسات الدولة وطرقها عن طريق القضاء على الفساد الموجود في مؤسسات الدولة المختلفة، كما ويسعى إلى تأصيل مبادئ حقوق الإنسان، والعمل على إزاحة معالم الدولة العسكرية و(عسكرة الشعوب) والمركزية المطلقة في الحكم .

- تفكيك حاضنات العنف ومفعلاتها في الثقافة القائمة على الفكر الديني المتطرف الذي يكفر الأخر ويهدر دمه .
- التأكيد على حق الإختلاف بين البشر فالإختلاف آية بينة، وإن كان لا يلغى الإئتلاف، فالتسامح لم يرد في الشريعة الإسلامية إلا أنه يشير إلى إحدى خصائص المجتمع المسلم، كما جاءت الشريعة بما يقاربه أو يدل على معناه، فقد دعا القرآن الكريم إلى التقوى والتشاور والتآزر والتواصي والتراحم والتعارف، وكلها من صفات التسامح.
- على الأحزاب والتجمعات ومؤسسات المجتمع المدني الفاعلة أن تعي دورها وتكثف حضورها تجاه القضاء على مظاهر العنف والإرهاب من خلال معالجة العوامل المحركة له .
- التخلي عن العادات العشائرية والقبلية التي تتقاطع مع القانون وتعرقل الحياة المدنية .
- سن قوانين تجرم العنف بأنواعه كالعنف الأسري أو القبلي القائم على قيم قبلية تتعلق بغسل العار والثأر أو التعدي على الزوجة والأولاد بالضرب والشتم وغيرها .
- استنهاض الهمم الوطنية والاجتماعية بممارسة القيم الايجابية المرتبطة بالكوابح الدينية والأخلاقية والإنسانية للارتقاء بمفاهيم التسامح والتعايش السلمي بين مختلف عناصر وطوائف الجماعات العراقية .

المصادر والمراجع

١- أديب إسحاق ، وآخرون . أضواء على التعصب ، دار أمواج ، بيروت ، ١٩٩٣ .

٢- اسعد الإمارة . اللاعنف والتسامح قمة التوازن النفسي ، مجلة النبأ ، السنة ١١ ، العدد ٧٥ ، ٢٠٠٥ .

٣- أبي طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادي ، القاموس المحيط ، ط ١ ، دار إحياء التراث العربي ،بيروت، ١٩٩١.

٤- احمد زكي بدوي . معجم مصطلحات العلوم الاجتماعية ، مكتبة لبنان ، بيروت ، ١٩٧٨.

٥- إيمان رجب . العراق بعد عام ٢٠١١ : التحديات في فترة ما بعد الانسحاب الأمريكي ، مجلة المستقبل العربي ، العدد ٣٩٦ ، مركز دراسات الوحدة العربية ، بيروت ، ٢٠١٢.

٦- إبراهيم مدكور وآخرون: "المعجم الوسيط"، جـ٢، ط٣، القاهرة، مجمع اللغة العربية، ١٩٧٢.

٧- إبراهيم راشد الحوسني . اثر التحديث الغربي في الهوية في مجتمع إسلامي ، ط ١ ، دائرة الثقافة والإعلام ، الشارقة ، ٢٠٠١ .

٨- برهان غليون . الطائفية في الدولة والمجتمع . http://www.aljazera.net/NR/exeres

٩- حسن حنفي . تحليل الخطاب العربي ، منشورات جامعة فيلادلفيا ، الاردن ، ١٩٨٨ .

١٠- حسين اسعد . الأخلاق ودورها في الحياة ، دار الأنوار ، بغداد ، ١٩٧٨ .

١١- خليل أبو أصبح . الاتصال الجماهيري ، دار الشروق ، عمان ، ١٩٩٩ .

١٢- راشد الغنوشي . حقوق المواطنة – حقوق غير المسلم في المجتمع الإسلامي ، سلسلة قضايا الفكر الإسلامي (٩) ، المعهد العالمي للفكر الإسلامي ، فرجينيا ، الولايات المتحدة الأمريكية ، ١٩٩٣.

١٣- السيد سلامة الخميسي . تربية التسامح الفكري : صيغة تربوية مقترحة لمواجهة التطرف ، مجلة رابطة التربية الحديثة ، السنة ١٠ ، العدد ٢٦ ، الإسكندرية ، ١٩٩٣ .

١٤- ظاهر محسن هاني ، واحمد جاسم مطرود .الهوية العراقية بين المواجهة والخضوع ، بحث منشور في مؤتمر العقلية العراقية بين اكراهات الماضي وتحديات المستقبل ، مجلة جامعة القادسية ، المجلد ١٦ ، العدد ٢ ، جامعة القادسية ، ٢٠١٣ .

١٥- علي اسعد وطفة . المضامين الإنسانية في مفهوم التسامح ، جريدة الأسبوع الأدبي ، العدد ٩١٣ ، دمشق ، ٢٠٠٤ .

١٦- على اسعد وطفة ، وصالح احمد الراشد . التربية وحقوق الإنسان في الوطن العربي ، مكتبة الفلاح للنشر والتوزيع ، الكويت ، ٢٠٠٥ .
١٧- عباس الجراري . مفهوم التعايش في الإسلام ، مجلة الجراري ، العدد١٤ ١٩٩٧، المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة . ايسيسكو، ١٩٩٧ .
١٨- عبد الرحمن بن علي الغامدي . قيم المواطنة لدى طلاب الثانوية وعلاقتها بالأمن الفكري ، ط ١ ، جامعة نايف العربية للعلوم الأمنية ، الرياض ، ٢٠١٠ .
١٩- علي سعد الدين إبراهيم . التعصب والتحدي الجديد للتربية في الوطن العربي ، الكتاب السنوي السادس ، الجمعية الكويتية لتقدم الطفولة العربية ، ١٩٨٩ .
٢٠- فضيل دليو . الاتصال، مفاهيمه- نظرياته- وسائله ، دار الفجر للنشر والتوزيع ، القاهرة ، ٢٠٠٣ .
٢١- قاسم حسين صالح . اللاوعي الجمعي في العقلية العراقية وإشكاليات التغيير (اللاوعي الجمعي أفيون العقلية العربية .. مخدر وخالق اوهام) ، بحث منشور في مجلة جامعة القادسية (العراق) ضمن وقائع مؤتمر كلية الآداب ، المجلد ١٦ ، العدد ٢ ، ٢٠١٣ .
٢٢- لطفي بركات احمد. القيم والتربية ، دار المريخ ، الرياض ، ١٩٨٣ .
٢٣- محمد بن أبي بكر ابن عبد القادر الرازي . مختار الصحاح ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، د.ت.
٢٤- ماجد الغرباوي . التسامح ومنابع اللاتسامح مقاربة تمهيدية ، مجلة قضايا إسلامية معاصرة ، العدد ٢٨-٢٩ ، بغداد ، ٢٠٠٤ .
٢٥- محمد محفوظ . في معنى التسامح وأفاق السلم الأهلي ، مركز دراسات فلسفة الدين ، بغداد ، ٢٠٠٥ .
٢٦- محمود حمدي زقزوق . التسامح في الإسلام ، مجلة التسامح ، العدد ١ ، عُمان ، ٢٠٠٣ .
٢٧- محمد الحامد ، ونايف الرومي . الأسرة والضبط الاجتماعي ، بدون دار نشر ، الرياض ، ٢٠٠٢ .
٢٨- الموسوعة العربية العالمية ، ط ١ ، مؤسسة أعمال الموسوعة للنشر والتوزيع ، السعودية ، ١٩٩٦ .
٢٩- مصطفى حجازي وآخرون: "المعجم الوجيز"، القاهرة، مجمع اللغة العربية، ٢٠٠٠ .
٣٠- ناظم نواف الشمري . ظاهرة عدم الاستقرار السياسي في العراق وتداعياته العربية والإقليمية ، مجلة السياسية والدولية ، العدد ١٨ ، بغداد ، ٢٠١١ .

٣١- هدى درباشي . دور الجامعات الفلسطينية بغزة في تنمية النسق القيمي لدى الطلبة ، أطروحة دكتوراه منشورة ، كلية التربية ، وكلية التربية بجامعة الأقصى ، وجامعة عين شمس ، ٢٠٠٤ .